

الأسس اللغوية والثقافية في تدريس الترجمة المتخصصة

يوسف وسطاني

جامعة محمد الأمين دباغين

سطيف 2 - الجزائر-

youcef_ammam@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2018/01/26 تاريخ المراجعة: 2018/02/05 تاريخ النشر: 2018/06/30

الملخص:

لكل عصر مميزاته الحضارية، والتي ما فتئ الإنسان يكّد ويجدّ لتطويرها في حياته. وعصرنا هذا تراكمت فيه روافد الحضارة الإنسانية الراقية، بشتى فروعها، ترجمتها الألسنة المتعددة الناقلة لها، حاملة أرقى ما توصل الفكر الإنساني من إبداعات باهرة، ساعدت على نشرها أرقى وسائل الاتصال والتواصل - غاية في الدقة والسرعة -.

ومن نتائج ذلك التطور تفتّح الأمم وتقارُبها من بعضها، وغدت الأسواق التجارية، والتفاعلات العلمية والثقافية السمة البارزة لعصرنا، تستند إلى الترجمة كجسر تواصل حتمي، والتي أضحت - أي الترجمة - مُجبرة على تلبية الطلب المتزايد على خدماتها، باحترافية وحذق ومهارة، ووسيلتها في ذلك إتقان اللغات على اختلاف مستوياتها، وتبعاً لذلك يستوجب على القائمين بالفعل الترجمي - إعداداً وأداء - الظفر بمتجربين ذوي كفايات عالية لأداء تلك المهام الحضارية. ولا ريب أن مواصفات المترجمين المذكورة، إنما يتمّ بالإعداد القائم على مناهج سليمة وثرية وهادفة إلى تكوين النمط المتوخى من المترجمين والتراجمة. في هذا النطاق، تندرج هذه المداخلة وفق ما يلي:

- مقدمة للموضوع.

- الأسس اللغوية: كنهها ووظائفها في تشكيل المعنى المتخصص.

- الثقافة العامة من أهم روافد الفعل الترجمي المتخصص.

- خلاصة لأهم ما ورد في المداخلة.

الكلمات المفتاحية: الأنساق اللغوية، الكنه والوظيفة، المعنى المتخصص، الثقافة العامة، الرافد الترجي، المكون اللساني.

Résumé:

La présente communication s'inscrit dans le cadre de la didactique de l'enseignement en général, et celle concernant la formation des traducteurs spécialisés en particulier, mettant en relief quelques lignes - parmi tant d'autres - à même de garantir un minimum de formation adéquate et solide des traducteurs spécialisés, selon les éléments suivants:

- 1- Les fondements linguistiques: niveaux et complémentarités dans la formation des termes spécialisés.
- 2- Influence de la culture générale dans la traduction spécialisée.
- 3- Conclusion générale.

Mots clés: Fondements linguistiques, Complémentarité dans la formation, Traduction spécialisée, Culture générale.

1- مقدمة:

لقد بات لزاما على مؤسسات التكوين في مجال الترجمة، الحرص الدؤوب والمستمر على وضع الخطط الدقيقة في نطاق إستراتيجية إعداد وتكوين المترجمين والتراجمة، تلبية للحاجات الملحة والمتزايدة لعالم اليوم، في مختلف مجالات حياتنا وما تتطلبه تلك المجالات من تخصصات يفرض انتشارها وتبادلها بين الأمم فعلا ترجميًا دقيقا يعتمد - أول ما يعتمد على إتقان اللغات - كأبرز وسيلة للاتصال والتواصل. وانطلاقا مما سبق، فإن اختلاف الألسن بين الأمم يقتضي إعداد المترجمين إعدادا مكثفا شاملا، يستجيب لمقتضيات اقتصاد السوق في نطاق مصطلح العولمة بمفهومه الشامل، والذي تحققت معالمه، معتمدة على تكنولوجيات الإعلام والاتصال المتوافرة بشكل باهر ومتنام، إلى حد جعل كل منتج جديد تُعرف معالمه عبر أقطار المعمورة في حيز قصير من الزمن. ومن هنا، فإن العبء الملقى على عاتق المترجم يزداد أهمية وخطورة كلما تواترت عملية الاتصال والتواصل، وتبادل المنافع والخبرات بين الأمم.

وفي هذا السياق تندرج هذه المداخل، والتي تنبث مباحثها من المحور الثاني للملتقى، المتعلق بالمقاربات البيداغوجية في تدريس الترجمة المتخصصة وفقا لعناوين المباحث السالفة الذكر، ومنها المبحث الأول:

2- الأسس اللغوية: مستوياتها وتضافرها في تشكيل المعنى المتخصص:

إذا كانت الترجمة بكل أنماطها ووظائفها قد باتت حتمية حضارية قصوى في حياتنا المعاصرة، فإن الذي يزيدها أهمية هو ذلك المجال الواسع من الاختصاصات المتنوعة التي فرضتها الحضارة الإنسانية المعاصرة، بما تستلزمه من إعداد ملائم للقائمين بالفعل الترجمي الضروري في المعاملات المختلفة، وذلك بتخطي كل العوائق والصعوبات التي تعترض إعداد النمط المتوقع من المترجمين.

وتحقيقا لهذه الغاية، غدا البحث عن أنجع الطرق البيداغوجية لإعداد المترجمين إحدى المهام الأساسية لمؤسسات التكوين في هذا المجال، على اختلاف درجاتها العلمية. ولئن تعددت أنماط التكوين من جهة، وتنوعت مدارسه بنظريات شتى، معتمدة على وسائل بيداغوجية متطورة لأغراض التكوين والإعداد، فإن المكوّن اللّساني في هذه العملية الهامة يكتسي طابعا وظيفيا، وجب التوقّف عنده، وإيلائه العناية اللازمة في أطار إعداد المترجمين ذوي الكفايات المناسبة لمتطلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يميّز بها عصرنا. فما الذي نعينه بالأسس اللغوية في مجال تعليم الترجمة المتخصصة ؟ نقصد بذلك تلك المنطلقات والمبادئ، التي تتشكل منها القوالب والأوعية الناقلة للمعاني والمصطلحات المختلفة، ذلك أن الأساس أو الأسُس - وجمعه: أساس، هو مبدأ كل شيء وهو أصل البناء¹ الذي يتجلى في المرتكزات الأساسية المعوّل عليها في عملية الإعداد والتكوين. وهي - قبل كل شيء - تلك الوسائل والوسائط اللغوية التي يجب أن يُزوّد بها مترجم المستقبل، والتي تُدرج ضمن منهاج التكوين ضمن خطة متضمنة للأهداف المتوخّاة من ذلك المنهاج. ونحسب أن المقصود من الأسس المذكورة هي المادة اللغوية برمتها، أي ذلك النظام المتعاقد المشكل للقوانين التي تُضبط بها اللغات البشرية لتؤدي وظائفها أبرز وظائفها: الاتصال والتواصل بكل متطلبات هذين المصطلحين، بحسب المستويات

المعروفة في علم اللسان الحديث. وتبعاً لذلك، نلج عالم التدريس من بابه الواسع. ما علاقة الأسس اللغوية بميدان الترجمة ؟ وهل يُمكن تجنّب تلك الأسس حين نُعدّ المترجمين لممارسة الفعل الترجمي، تلبيةً لحاجات السوق التي لا حدود لها ؟ وبذلك فنحن ههنا في موقف يتعلق بمجال الترجمة المتخصصة، التي يقتضي التعامل معها نظاماً لغوياً، تُصاغ من خلاله المصطلحات المختلفة. ولما كان لكل لغة مبنائها ومعناها وخصائصها² الأسلوبية المميّزة لها، فإن المنظور الوظيفي للترجمة ينصرف بلا ريب إلى اللغة المُترجم إليها كأساس للفعل الترجمي. ولسنا بحاجة - في هذا المقام - إلى التذكير بمختلف التعاريف المتعلقة بمصطلح "اللغة" ومرادفها "اللسان"، وإنما نشير إلى أننا نقصد بها تلك القدرة الذهنية³ التي تتشكّل من حوصلة الفرد من المعاني والمفردات والأصوات والقواعد، إذ يتمكّن بتلك الوسائط من إنتاج لغته نطقاً وتدويناً. والسؤال الذي يطرح نفسه بالحاح - في هذا المجال - هو: ما علاقة الحويلة اللغوية للمترجم في تشكيل أو استنباط المعنى أو المصطلح المتخصص، لتوفير متطلبات الترجمة المتخصصة؟

الذي لا شكّ فيه أن المقاربات البيداغوجية لتدريس الترجمة المتخصصة، تعتمد اعتماداً كلياً على تدريب طلبة الترجمة على توظيف العناصر اللغوية، في تشكيل المصطلحات وصياغة المعاني المطلوبة في حقل من حقول النشاط البشري. وإذا كنّا نعلم بيقين أن الحويلة اللغوية للمترجم إنما تُكتسب بالجهد والمثابرة، فإن إعدادها على أساس أنساقها أو مستوياتها المُتعارف عليها هي:

أ- النسق الصوتي:

وهو المستوى الأول، وتتجلّى وظيفته في تشكيل الألفاظ أو أجزاء الكلمات، أي تلك الوحدات الصوتية، التي يجب - بالضرورة - أن تتوافق مع النماذج المعروفة لدى الجماعة اللغوية، ونعني بذلك المحيط الناطق باللغة الموظفة في صياغة الترجمة في حقل معين. وحرى بالذكر أن الأصوات تشكّل المظاهر الأولى للأحداث اللغوية⁴، ذلك أن تداخلها، وتغيير الفونيمات أو الحركات الإعرابية من شأنها تغيير المعنى، ويحول دون تمكّن المترجم من تحديد صيغة

المعنى أو المصطلح المراد وضّعه، مما يستوجب إعداد الطالب المترجم وفقاً للقواعد الصوتية في اللغة العربية. وكمثال على ذلك لنقف على جذر الفعل: "ذَانَ" الثلاثي الأجوف، ونلاحظ بعض صيغه، والمعاني التي تحتلها، والمصطلحات التي تُصاغ انطلاقاً من جذر الفعل المذكور: منه "الدَّيَّانُ" اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه: الحكم والقاضي، والقَهَّارُ⁵، ثم تأتي الصيغ الأخرى وفق حقولها الدلالية، نذكر منها الآتي: دِينَ - ديانة: - Religion - Foi - Croyance - Doctrine

وفي حقل الاقتصاد والمحاسبة: دَيْنٌ Dette - Créance ومنه الصّفات: المَدِينُ: إذا كان بدمته دَيْنٌ، ويُقابله في اللغة الفرنسية بالمصطلحات: Débiteur - Redevable - Endetté وقد يُستخدم كل مصطلح في نشاط معيّن، غير أننا نجد في اللغة العربية بعض الصيغ التي قد لا يتوفر لها مقابلها في اللغة الفرنسية مثل: مَدِيَّانٌ وهذه صيغة مبالغة تفوق لفظة مَدِينٌ لأن الأولى تصف كثير الديون، في حين تعني اللفظة الثانية دَيْنًا مادياً أو معنوياً، كأن نقول لشخص أسدى لنا جميلاً: "أنا مَدِينٌ بكذا..." وهو كما نرى دَيْنٌ معنوي... كما تُستخدم اللفظة في مجال المحاسبة: حساب مَدِينٌ Compte débiteur. كما أن الفعل: "ذَانَ" الذي أخذنا منه الصيغ السابقة، إذا أُضيفت له همزة التعدية⁶ أدى معانٍ إضافية أخرى، وذلك إذا جاء بوزن: "أَفْعَلٌ" ومنه: "أَذَانَ" وهذه الصيغة تفيد معانٍ وتشكل منها مصطلحات لا يمكن الوقوف على مفهومها والتفريق بين مدلولاتها إلا عن الطريق الصوت وطبيعة الفونيم المصاحب له. ومن الصيغة السابقة نذكر الآتي: أَذَانَ - دَيْنًا بمعنى أقرض: créditer - prêter ومنه: مُدَانٌ يحمل معنيين: الأول ذكر معناه - أي بدمته دَيْنٌ، وبالفرنسية: endetté، وأمّا المعنى الثاني التي تحتلها الصيغة المذكورة فهي: الإدانة، وتفيد الاستنكار والشجب: Réprobation - Dénonciation - Condamnation. ولاشك أن المترجم - في مثل هذه الأوضاع - يعتمد على السياق⁷ الذي ترد فيه هذه الألفاظ، ونعني بالسياق كل الملابس والقرائن التي تُساعد المترجم على التمكن من تبديد كلّ أشكال الغموض الذي قد يكتنف العبارة أو اللفظة ويحول دون تحديد معناها بدقة، سواء تعلّق الأمر باللغة المنطوقة أو المدوّنة. تلك بعض الإشارات المتعلقة

بالمستوى الصوتي للغة، إذ تبين لنا - خاصة ما تعلق باللغة المنطوقة - أن الفونيمات والتلفظ بها يؤدي دورا خطيرا في تحديد معاني الصيغ، والمصطلحات المستعملة في حقول دلالية معينة. وإذا ما أضفنا إلى ما سبق بعض الظواهر الصوتية المصاحبة للكلام، مثل النبر Intonation، أو التنغيم Accentuation وتلك المظاهر الصوتية لها تأثيرها الواضح في أداء الكلام، وتضمينه الكثير من المعاني خاصة في الترجمة الفورية، وكل ذلك يستوجب على القائمين بشأن التكوين في هذا المجال الحيوي إعداد المترجمين وفق ما تتطلبه لغتهم بوظائف هذا المستوى الأساس في تشكيل لبنات الكلمات والعبارات. وفيما يلي إشارة أخرى إلى المستوى أو النسق الثاني للغة:

ب- النسق الصرفي:

الملاحظ أنّ الدراسات الأكاديمية في هذا المستوى - وهو الثاني ترتيبا في الدراسات اللسانية الحديثة بعد المستوى الصوتي - قليلة في بحوث الطلبة وأطروحاتهم في الجامعات، وكثيرا ما يعتمدون على مراجع ثانوية لا تبين أهمية هذا العلم الجليل، لأنه المعيار والميزان الذي يلجأ إليه كلّ مستعملي اللغة، وخاصة المترجم، لكثرة حاجاته إلى الصيغ والمصطلحات المتغيرة بتغير المنتجات وتنوعها، لأن الأمر يتعلق ههنا بما يهتم ببنية الكلمة أو اللفظة المراد صياغتها تلبية لمقتضيات المقام الذي تفرضه الترجمة، والتفريق بين أوزان الصيغ لاختلاف المعاني⁸، ويتضح جليا أن وظيفة علم الصرف تتجلى في تشكيل هيئة الكلمة أثناء استعمالها في وضع معين، وسياق يقتضي ورودها على تلك الهيئة التي يتحكم فيها المعنى المقصود، خاصة ما تعلق بالبحث عن المصطلحات المتخصصة، لأن التصريف في جوهره تقليب⁹ للألفاظ من حالة إلى أخرى تبعا لحاجات التعبير والصياغة. والملاحظ أيضا أن ارتباط المستوى الأول (الصوتي) بالمستوى الصرفي وثيق، يُلاحظ ذلك من خلال الأمثلة التي مرّت بنا، وتلك العلاقة تتجلى فيما يُسمى بالتغيرات الصوتية - الصرفية الحاصلة بالأساس تخفيفا في النطق، أو تغييرا في المعنى، وهي جزئية وجب على طالب الترجمة استيعابها وممارستها عمليا. كل ذلك في نطاق اللغة بنظامها المتكامل، على أننا

بصدد لغة التخصصات المختلفة التي تقتضيها مجالات الحياة والتي تتميز بخصائصها التركيبية عن اللغة العامة، وفق ما جاء في النص التالي:

" Par ailleurs, nous pouvons voir une nuance de sens entre : « la langue de spécialité » et « les langues de spécialité ». Dans le premier cas, nous faisons référence à l'ensemble des langues de spécialité, considérées du point de vue de leurs caractéristiques communes, qui les opposent à la langue générale et à la langue commune. Dans le second, nous mettons l'accent sur les différences existantes entre les langues de spécialité entre elles selon le sujet : la langue du droit, celle de l'économie, celle de la sociologie, celle de la médecine, etc..."¹⁰.

يتبين مما سبق، أن كل نشاط مادي أو معنوي يقتضي لغة خاصة به، غير أن القوالب التي تُصاغ فيها يجب بالضرورة أن تخضع لقانون اللغة المستعملة، ونحن ههنا بصدد الحديث عن المستوى الصّرفي، الذي يُعني ببنية، ولتكن لفظة: وَزَنَ التي لها معان ومشتقات كثيرة، منها: الوزن وهو رمز الثقل والخفة، والوزن ثقل الشيء بالشيء، وَوَزَنَ الشيء وَزْنًا وَزْنَةً، ومنه الميزان: العدل، وَوَزَنَتْهُ عَادِلُهُ وقابله¹¹ وورد هذا اللفظ في القرآن الكريم من ذلك قوله جلت قدرته: "وأوفوا الكيل إذا كلتم وَزْنُوا بالقسطاس المستقيم"/الإسراء 35، وقوله تعالى: "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة" الأنبياء/47. والملاحظ في هذا السياق، استخدام مصطلحات من جذر الفعل "وَزَنَ" الذي تُشتق منه صيغ تتعلق بالاقتصاد والتجارة والمحاسبة، وما يهم طالب الترجمة هو استيعاب الطرق العلمية التي تمكنه من توظيفها في المجال المناسب. ومن الفعل المذكور أنفا نجد: الميزان، وأصله "المُوَزَان" Balance، وتُطلق في مجالات عديدة، مثلا: الميزان التجاري Balance commerciale، - ميزان البتّاء Fil à plomb، - ميزان حسابي: Balance de comptes - Bilan. وصيغة: ميزان، تُحوّل في الصرف العربي إلى: صيغة : ميزانية بإضافة "ياء مشددة" وتاء زائدة، وتُسمى صرفيا: مصدرا صناعيًا¹¹ الذي يدل على الحدث وما يتعلق به من مواصفات وملابس. ولفظ "الميزانية" ههنا يقابله في اللغة الفرنسية مصطلح: Budget، التي تعني قيام المختصين بعمليات تفصيل إلى توازنات الدولة أو مؤسسة ما في مجال

الإيرادات المالية كـيفيات تسييرها. ولعلنا نلاحظ مدى استجابة الصيغة الصرفية العربية لمقتضى المقام، إذ لو حللنا مصطلح "ميزانية" بدءاً بجذره الأول "وَزَنَ" لأعطانا المعنى الدقيق لطبيعة هذا المصدر، ودلنا على اجتماع كل مُقتضياته في مجال المحاسبة، وتقنياتها، والحسابات وأرقامها، إلخ... والأمثلة على ذلك كثيرة، وثرة ثراء الصرف العربي، بأبوابه ومواضيعه التي تعدّ بحق "الخزّان الحقيقي الذي يستمد منه الجميع - وبخاصة المترجم - زادهم من المفردات والصيغ، وتشكيل المصطلحات المختلفة للحاجات الملحة للسوق بكل منتجاتها الوافدة. ونظراً لهذه الأهمية البالغة، فإن كل عمل بيّداغوجي يتعلق بتكوين المترجمين والتراجمة، يجب أن يتضمن إدراج هذه القضايا اللسانية، وتدرّسها عملياً من خلال تطبيقات فورية مع كل قاعدة، تمكيناً للطالب المترجم من استيعاب تلك الأنظمة الصرفية وتوظيفها في صياغة ما يعترضه من مصطلحات، ويتعوّد على استنباط الصيغ من جذورها الأصلية - والأمر هنا يتعلق باللغة العربية - التي هي لغة اشتقاقية بامتياز، فقد وقفنا على مصطلحين من جذر واحد هما: ميزان - ميزانية. فالأول اسم آلة مشتق بوزن: مفعّال، وهو وزن قياسي من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف مطلقاً، ودلّ على الأداة التي تستعمل في إيجاد معنى ذلك المصدر وتحقيق مدلوله¹²، أما الثاني فإنه مصدر صناعي دلّ على الحدث وما يتلق به من ملابسات ومواصفات، وتلك الفروق المعنوية التي يتضمنها المصطلحان تساعد المترجم على استخدام الصيغة وفق مقتضيات المقام، أو لغة التخصص، مستعيناً في ذلك بتطبيق قوانين وضوابط علم الصرف العربي، ذلك أن لغة الاختصاص، ويطلق عليها البعض "لغة الأغراض" هي "ضرب مقنن ومنمّط من ضروب اللغة، يُستعمل لأغراض خاصة وفي سياق حقيقي، أي يوظف لإيصال معلومات ذات طابع تخصصي، على أيّ من المستويات: على أكثرها تعقيداً، أي بين الخبراء العارفين، أو على المستوى الأقلّ تعقيداً بهدف نشر المعرفة بين المهتمين بالحقل وتلقيهم أصوله، وذلك بأكثر السبل إيجازاً ودقة ووضوحاً. ومن هنا فإن إعداد مناهج تعليم لغات الاختصاص لطلبة الترجمة، يجب أن تدرج فيه هذه الاعتبارات اللسانية المتكاملة.

ج- النسق التركيبي:

نظام اللغة - أية لغة بشرية - كلّ متكامل، وما تلك التجزئة إلا تيسيرا على الدارس، تبياناً للوظائف المتعلقة بكل مستوى. وقد مرّ بنا مستويان: الصوت ثم الصرف، ونعرج من خلال السطور التالية إلى النسق التركيبي، والذي نعني به: تلك القواعد والقوانين الضابطة للكلام مدونا ومنطوقا والتي تصونه من أشكال اللحن وفساد المعنى. إن هذا المستوى يُعنى باللفظة أو المفردة مركبة مع غيرها من الكلمات، في نسق اقتضاه علم النحو مستمدا من تأثر تلك الألفاظ بعضها ببعض، واستجابة لمتطلبات السياق الخاص بإنتاج ذلك الكلام. وما يهّمنا في هذا المقام هو علاقة هذا المستوى بإعداد المترجمين، ذلك أن اللغة التي تشكل الأوعية الناقلة للمعاني ومختلف الاصطلاحات لا يكمن بأيّ حال أن تُؤدي تلك الوظائف السامية من لغة إلى أخرى، ومن حقول المعرفة البشرية التي تغطي كلّ أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، دون خضوعها للقوانين الضابطة لها، وتبعاً لذلك فإن تعليم قواعد العربية للطالب المترجم - ضمن منهاج صارم ومتكامل - من الأولويات التي يجب أن يعكف عليها القائمون بشؤون التكوين في هذا المجال الحضاري الحيوي. وإذ نشير إلى هذه الأهمية البالغة لقوانين العربية، فإننا ننّبّه إلى مسألة جوهرية تخص الطرق البداغوجية العقيمة المنتهجة في تعليم قواعد اللغة العربية في منظومتنا التعليمية على اختلاف مستوياتها. وفحوى تلك الطرق أنها تُقدّم في قوالب جاهزة وجافة، بعيدة كلّ البعد عن روح النحو العربي، ووظيفته، فأضحت أبوابه منفرة لا إقبال عليها، بل لقد أصبحت العربية تدون وتنطق بالأخطاء، وبإساءة كبيرة إلى أجلّ علومها وهو علم النحو بأبوابه المتكاملة. فقد قالوا:

النحو يصلح من لسان الأَلَكَن *** والمرء تكرمه إذا لم يلحن
فإذا طلبت من العلوم أجَلها *** فأجلها مقوم الألسن

3- الثقافة العامة:

لسنا بحاجة، في هذا المقام إلى الخوض في مصطلح "الثقافة" وجذره الثلاثي: ثقّف، فقد تناولته كتب الفلسفة والعلوم الاجتماعية. فالثقافة هي كل

مكتسبات الفرد في حياته منذ ولادته، فيكتسب قدرة الإدراك عن طريق البحث والتأمل، أو بغير ذلك من الوسائل، ذلك أن الثقافة تميز صاحبها بذوقه المتميز وحسه المرفه، وسعة اطلاعه على الكثير مما يهم محيطه الأقرب، ثم البعيد بكل مستجداته الفكرية والأدبية، ساهرا على صقل مواهبه بفضول الاطلاع.

وهناك من يجعل مصطلح الثقافة منحصرًا من ذلك الكم المتضمن لعناصر كثيرة مثل العقائد، والفنون والمعارف والأخلاق والقوانين، وهذا الزخم من المكتسبات، يحصل عليه الإنسان كونه يعيش في وسط معين، أي عن طريق الجهد الفردي الذي يكسب صاحبه مهارات وحذا في مجال سلوكاته، ولعل ذلك المحنى ما جعل البعض يعرف الثقافة بأنها تنظيم السلوك المكتسب¹⁴. وقد يطول الكلام بشأن الثقافة ورجالاتها، ومجالاتها، المادي منها والمعنوي، غير أن الذي يهمنا في هذا المقام هو: ما علاقة الثقافة بمفهومها الواسع الذي يضم جميع الاتجاهات بتكوين المترجم؟ إنه الأحق بها، بل أول من يسعى بكل ما أوتي من قوة من أجل إثراء قاموسه الثقافي في شتى المجالات، بما يطيقه، لا بكل له عضد في هذا المضمار، ليتسع وعاءه ويثري حصيلته بزداد هو في أمس الحاجة إليه، ومن هنا فإن النهج المقررة إعداد لطلبة الترجمة يجب أن تطعم بشق ألوان المعرفة الإنسانية من أدب وفلسفة وتاريخ وعقائد، وعادات وتقاليد وما إليها من ممارسات اجتماعية، خاصة ما كان له صلة بالأمم الراقية المتحضرة، التي تغزو منتجاتها أسواقنا، ونستورد منها الكثير من متطلبات حياتنا، وذلك من شأنه - إن حصل - لدى طالب الترجمة - أن يشكل لديه روافد غنية وفعالة أثناء قيامه بالفعل الترجعي في أي مجال من المجالات التي يقع فيها، وذلك طبعًا، بعد الإلمام بلغة أو لغات هذه الأمم، والتي هي في جوهرها وعاء لثقافة تلك الأمة أو الأمم، بقواعدها الضابطة لها، وأساليبها الخاصة.. وإذا كان رصيد الحصيلة اللغوية للمترجم - واللغة الأم تحديدًا - أي تلك التي يُترجم منها وإليها، غنيا بعلومها وأساليبها وثقافتها، فإن مستواه في لغة الانطلاق لا يقل اهتمامًا عما سبق ذكره بشأن لغته الأم، فيحتاط لذلك بسعة اطلاعه، ويتم ذلك عن طريق مضمون المنهاج المقرر في حقل الثقافة، إذ يجب أن تعكف هذه الأخيرة على إدراج مقياس الثقافة العامة للغتي المتعامل بهما لأن كل لغة تحمل ثقافة أهلها،

لذلك وجب الاطلاع - قدر الإمكان - إضافة إلى الأنساق التعبيرية والخصائص الأسلوبية للغة الأجنبية - على أنساق التعبير انطلاقاً من ديوانها الثقافي، ومحاولة الغوص في الحقول المعرفية، والميادين العلمية الرائجة في تلك اللغة، خاصة في مجال التخصص، لأن أية لغة عاكسة لا محالة لأنماط حياة أهلها في تلك الميادين، وهنا يبرز دور الثقافة المعجمية، وتتجلى في ذلك الخزان الهائل من الزاد اللفظي، وقد لا ينتبه الكثير منا لمعنى ثقافة المعجم؟ لعلّه من المفيد التذكير أن حجم ثقافة أية أمة بكلّ أبعادها يتجلى في حجم معاجمها ومضامينها، فكلما كانت ضخمة، ثرية، عامة ومتخصصة عكست بصدق سموّ وعلوّ حضارة أهلها بكل تفرعاتها. وفي هذا المجال تتفاوت الأمم حضارياً، ذلك أن ثقافة أية أمة محمولة على مفردات معجم لغتها، ومقدار المعلومات المتجمّعة حول أي موضوع، يُعدّ بلا شكّ جزءاً من ديوان اللغة الثقافي¹⁵ ولا شك أن الأفراد أينما وُجدوا يتفاوتون في المجال، كل حسب همته وتطلّعاته ومستواه، ولذلك فإنه من الضروري إخضاع المرشحين للتكوين في مجال الترجمة إلى عملية انتقاء دقيقة حيث يمكن الحصول على فئة تملك المؤهلات والاستعدادات اللازمة لوظيفة المترجم.

وخلاصة القول، فإن الثقافة لا تحصل بين عشية وضحاها، بل هي عملية مركبة تهدف بالأساس إلى تهذيب سلوك الإنسان وخدمته أينما وجد هذا الإنسان، وهي بذلك ابتكار واختراع في الفكر، وهي بذلك نضج في العقل، ووعي في القلب، ووعي في الشعور، واستقامة في السلوك، وحذق في الأشياء علماً وعملاً.¹⁶

4- الخاتمة:

من السطور السّالفة نستخلص ما يلي:

- 1- التسليم بأن الفعل الترجمي أضحى حتمية علمية، يقتضي إعداد العدة المناسبة لمقتضياته، ويتعلق الأمر بالعنصر البشري (إعداد المترجمين).
- 2- لا شك أن اللغة هي العامل الأساس في تكوين المترجمين، وتبعاً لذلك يجب إيلاء أهمية كبرى لتعليم اللغات الحية لمسايرة التطورات الحاصلة في عالمنا والتكّمن من التعامل مع متطلبات الاقتصاد العالمي.

- 3- إعادة النظر في مسائل تعليمية الترجمة طريقة ومنهجها ومضمونها، بحيث تركز على الناحية العملية التطبيقية الميدانية لتغطية احتياجات كل المرافق الوطنية. لقد قال أحد الباحثين: "إن ثلاثية المهارات: القراءة والكتابة والحساب التي تأسس عليها التمدن الإجماري في القرن التاسع عشر الميلادي لم تعد مُجدية على الاستجابة لعصرنا".¹⁷ ولعلنا نلاحظ من خلال ما تقدم، أنَّ المعلومات التي يتحصل عليها التلميذ في الثانوية، وطالب الجامعة لا تسمن ولا تغني من جوع، أي لا تنفع في الحياة العملية، لأنَّ أصحابها لم يتمرنوا على تطبيقها في وضعيات ملموسة¹⁸.
- 4- وتبعا لذلك إعطاء الأولوية القصوى للجوانب البيداغوجية المتعلقة بتعليمي الترجمة من جميع الجوانب: مضامين البرامج، الطرق والوسائل.
- 5- إسناد وضع الخطط والمناهج والمقررات البيداغوجية لذوي الكفايات والاختصاص، والمتمكنين من شؤون الترجمة، والحاذقين في اللغات.
- 6- وأهم ما أختتم به يعود للغة: لن تحصل لنا استقلالية ترجمية، ولن يحصل لنا تراكم حضاري بالفعل الترجمي إذا لم يتم ذلك الفعل الحضاري الراقي من العربية وإليها، بعد أن نعيد النظر جذريا في طرائق تعليمها وتعلمها التي نمارسها حاليا على كل المستويات، لتصبح لغة تمارس ضمن قواعدها وضوابطه، تتعامل مع كل لغات العالم، تتفاعل معها وتأخذ منها ولكن لا تذوب فيها لأنَّ أهلها أكسبوها مناعة حافظة تتجلى في تطبيق نظاما اللساني في كل المجالات.

الهوامش:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، تنسيق وتعليق: علي بشيري، دار إحياء التراث العربي/ط1/1988، بيروت، مادة: أسس.
- 2- مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1/2002، ص10.
- 3- أحمد محمد المعنوق، الحصيلة اللغوية أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، 212، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص1996، ص33.

- 4- مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1/2002، ص21.
- 5- لسان العرب، 4/458، مادة: "دَيَّنَ".
- 6- ابن القوطية، كتاب الأفعال، ت: علي فودة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2/1993، ص126.
- 7- صبيح إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط/1/105.
- 8- ابن جني، التصريف الملوكي/ ت: ديزيرة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، ط1/1998، ص13.
- 9- المرجع نفسه، ص13.
- 10- ([http://hosting.eila.univ-Paris-diderot.fr/juilliar/sitermino/cours/cours total det John 2003. hmt/cours 4 det/ p2/](http://hosting.eila.univ-Paris-diderot.fr/juilliar/sitermino/cours/cours%20total%20det%20John%202003.htm))
- 11- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط5، 1980، 3/186.
- 12- السابق نفسه، 3/333.
- 13- بيشت هربرت وجينفر دارسكو، مقدمة في المصطلحية، ترجمة: محمد محمد حلمي هليل، الكويت، مجلس النشر، 2000، ص15.
- 14- يوسف وسطاني، ثقافة الطفل ولغة الشعر، مجلة المترجم، العدد 26، جوان 2013، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص: 9-10.
- 15- محمد الأوراني، لسان حضارة القرآن، الدراسات العربية، ناشرون، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2010، ص: 43.
- 16- محمد بن عبد الكريم الجزائري، الثقافة وآسي رجالها، شركة الشهاب، الجزائر، ص: 21-22.
- 17- PH - Perrenoud, « construire des compétences : est-ce tourner le dos aux savoirs ? P.7.
- 18- Ibid. P.5.